SECRETARIATUS PRO NON CHRISTIANIS
CITTÀ DEL VATICANO

موقف الكنيسة تجاه أصحاب الديانات الأخرى

(تأمّلات وتوجيهات حول الحوار والدعوة)

عيد العنصرة سنة ١٩٨٤

SECRETARIATUS PRO NON CHRISTIANIS
CITTÀ DEL VATICANO

موقف الكنيسة تجاه أصحاب الديانات الأخرى

(تأمّلات وتوجيهات حول الحوار والدعوة)

عيد العنصرة سنة ١٩٨٤

TYPIS POLYGLOTTIS VATICANIS

نص الخطاب الذي ألقاه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني
أمـام الجمعيّة العمومية لأمانـة سرّ «غير المسيحيين»

يوم السبت الموافق ٣ مارس ١٩٨٤

الحـوار

يدخل ضمن رسالة الكنيسة الخلاصيّة

التقى قداسة البابا يوم السبت الموافق ١٩٨٤/٣/٣ بأعضاء أمانة السرّ لغير المسيحيين في ختـام جمعيّتهم العموميّة التي عقـدت من ٢/٢٧ إلى ١٩٨٤/٣/٣.

بهذه المناسبة ألقى قداسته خطابا ، ردًّا على كلمة التحيّة التي وجّهها إلى قداسته منسنيور جان جادو ، الرئيس المعيـن لأمانة السرّ ، فيما يلي ترجمته :

السادة الكرادلـة
الإخوة المحترمون

١ ـ يسعدني أن التقي بكم في نهاية أعمال الجمعيّة العموميّة التي دعتكم إلى دراسة وتعميق الموضوع العام : « الحوار والدعوة » ، الذي اقترحته أمانة السرّ لغير المسيحيين ، بمناسبة الذكرى السنويّة العشرين لتأسيسها ، ولظهور أول رسالة جامعة للبابا بولس السادس Ecclesiam Suam التي تعتبر بمثابة القانون الأساسي للحوار بمختلف صوره. لقد تمّ في أثناء هذه السنوات عمل على جانب كبير من الأهميّة ، « للبحث عن المنهج والوسائل التي تسمح بعقد حوار مناسب مع غير المسيحيين » (Regimini Ecclesiae, AAS 19, p. 919).

أذكر من بين الذين ساهموا في تحقيق هذا المشروع الكاردينال بنييدولي الذي استطاع باتّصالاته الوديّة أن يكسب تقدير شخصيّات من مختلف الديانات ، وجاء بمبادرات تتناسب مع متطلّبات الأزمنة. أشكر شكرا خالصا الرئيس المعيّن مونسنيور جان جادو الذي لا يزال يشجع اللقاءات المناسبة ليدعم الحوار بين المؤمنين المنتمين الى مختلف الديانات.

٢ ـ إنّ أهمية الحوار بين الأديان وضرورة إقامته على مستوى الديانات والأفراد لا يجهلها أحد ، خاصة في أيّامنا ، حيث يُدعى المؤمنون إلى أن يتعاونوا ليستطيع كلّ إنسان أن يبلغ غايته السامية ويحقق نموّه الأصيل. والحوار يساعد الثقافات على تحقيق قيمها الدينيّة والروحيّة الخاصة ، إزاء التغيّرات الاجتماعيّة المتلاحقة.

الحوار أساسي بالنسبة الى الكنيسة المدعوّة إلى أن تساهم في تحقيق تصميم الله بمناهجه التي تتمثّل في الحضور والاحترام والمحبّة لجميع الناس (راجع : Ad Gentes 10-12; Ecclesiam Suam 41-42; Redemptor Hominis 11-12).

لذلك فإنّني ، منذ رسالتي الجامعة الأولى ، ثمّ في لقاءاتي مع شخصيّات مختلفة وخاصة بمناسبة رحلاتي ، لم أكفّ أبداً عن التركيز على أهميّة مثل هذا الحوار ، وعلى دوافعه وأهدافه.

الحوار ، في نظر الكنيسة ، يرتكز على حياة الله ذاتها ، واحد وثالوث. إنّ الله أب للعائلة الانسانيّة جميعها ، والمسيح قد ضمّ إليه كلّ إنسان (Redemptor hominis, 13) ، والروح يعمل في كلّ إنسان : لهذه الأسباب ، فالحوار يعتمد أيضا على المحبّة للإنسان : إنّه بصفته انسانا ، الطريق الذي ينبغي على الكنيسة أن تسلكه أوّلا (Redemptor hominis, 14) . ويعتمد أيضا على الروابط القائمة بين الثقافات والديانات التي يعتنقها بنو البشر.

هذه العلاقة الوديّة بين المؤمنين من مختلف الديانات تنشأ من الاحترام والمحبّة للآخرين. إنّها تفترض التمتّع بالحريّات الأساسيّة التي تمكّن من ممارسة الإيمان الشخصي بصورة كاملة ومن مقارنته بايمان الآخرين (Redemptor hominis, 12).

٣ ـ فتحت ممارسة الحوار في السنوات الأخيرة سبلاً جديدة ومطالب جديدة ، منها أولا أنّ الكنائس الخاصة عقدت علاقات صادقة وبنّاءة مع المؤمنين المنتمين إلى ديانات أخرى حاضرة في ذات المجال الثقافي. وكانت هيئتكم حافزا لهذا التطوّر ، وعليها أن تواصل الجهود لتحديد أسس العمل الراعوي وتعميقها ، مشجّعة تبادل الأفكار وتأمّلها. وعلى الكنائس الخاصة من جانبها أن تسلك هذا الخط ، فتساعد المؤمنين على احترام القيم والتقاليد والقناعات التي تميّز المؤمنين بالديانات الأخرى ، وتعمل على تعزيز تربية المسيحيين الدينيّة لتصبح قويّة وعلى المستوى المطلوب ليؤدّوا باقتناع الشهادة الصالحة لموهبة الايمان العظيمة.

هذا الواجب لا تُعفى منه الكنائس الخاصة أيّا كانت ، اذ انّ المتغيّرات غير المنقطعة تجعل منه واجبا ملحا. فبسبب الهجرات والأسفار ووسائل الاعلام الاجتماعيّة والاختيارات الشخصيّة أصبح من المتيسّر للمؤمنين المختلفي الديانات والعبادات أن يلتقوا ، وكثيرا ما يعيشون معا في بيئة واحدة. لا بدّ إذن من نظريّة راعويّة تشجّع على إحترام أصحاب الديانات الأخرى والإحتفاء بهم وتأدية الشهادة الحسنة لكي تقوم القيم الروحيّة بأداء رسالتها في مجتمعاتنا التي تهدّدها الأنانيّة واللادينيّة والماديّة.

لتعزيز هذه النظريّة الراعويّة تمسّ الحاجة اليوم أكثر ممّا سبق إلى إنشاء لجنة خاصة مكلّفة بهذا الأمر في إطار كلّ مجمع من المجامع الأسقفيّة.

٤ ـ لقد أثبتت الخبرة أيضا أنّ الحوار يتمّ بصور مختلفة. فلا يقتصر فقط على الحقل العقائدي ، رغم أهميّته الكبرى للتوصّل الى تفهّم عميق ، بل يشمل مجال العلاقات اليوميّة بين المؤمنين المدعوّين الى الاحترام المتبادل وإلى المعرفة المشتركة. إنّ حوار الحياة يخدم التعايش السلمي والتعاون من أجل إقامة مجتمع أكثر عدالة ، حيث يستطيع الإنسان أن ينمو من حيث الذات وليس فقط من حيث الممتلكات. في هذا المجال تستحقّ الأسرة إهتماما خاصّا. إنّ العلاقات البيتيّة المتكرّرة تمكّن من التعرّف على الأشخاص في تاريخهم وقيمهم وتسمح بمواجهتها بالإنجيل. ويستطيع المسيحي ، دون معارضة ايمانه الشخصي ، أن يشارك في هذه التجارب الروحانيّة وفي مختلف أنواع الصلاة باعتبارها أساليب للالتقاء بالله.

جميع المسيحيّين مدعوّون إلى الحوار ، وإذا كان تخصّص البعض ذا فائدة كبيرة ، فإنّ عطاء الآخرين يشكّل مساهمة لا يستهان بها. في هذا المقام أذكر الحوار بين الرهبانيّات وبين الحركات الأخرى والجماعات والمنظمات. الجميع في حاجة إلى إستعداد ملائم وإلى تعميق متّصل للذاتيّة الكنسيّة.

وقد يكون الحوار مع غير المسيحيين طريقا للوحدة بين الكنائس المسيحيّة التي تحييها ذات المحبّة للمسيح : هذا التعاون المتبادل في هذا الميدان يتّخذ صورة ملموسة بمشاركة رئيس المجموعة المماثلة المتفرّعة من المجلس العالمي للكنائس في أعمال هذه الجمعيّة العموميّة. غير أنّ الحوار ليس بالأمر الهيّن ، إذ انّ الدين ذاته قد يتّخذ ذريعة للاستقطاب والتفرقة. إنّ إقامة الحوار تعني ، في ظروف العالم الحاليّة ، أن يتعلّم الإنسان العفو ، ما دامت كلّ الطوائف الدينيّة تستطيع أن تندب أضرارا عانت منها على مرّ العصور. وإقامة الحوار تعني بذل الجهد لتفهّم قلوب الآخرين ، وهو أمر لا تخفى

صعوبته حيث ينعدم التوافق ؛ وتعني أيضا أن يضع الإنسان نفسه في خدمة الإنسانيّة كلّها وخدمة الله الواحد ، دون الإكتفاء بالنتائج السهلة أو الظاهرة. مثل هذا الالتزام مردّه إلى الفضائل اللاهوتيّة ونموّه متوقّف على نموّها.

٥ ـ الموضوع الذي انعقدت لدراستة جمعيّتُكم العمومية ، « الدعوة والحوار » لهو من أهمّ الموضوعات. وقد تمكّنتم دون شكّ ، أيّها الأحبّاء أعضاء أمانة السرّ ، بفضل خبرتكم الراعويّة وتأمّلكم المشترك ، من توضيح الروابط والعلاقات بين الدعوة والحوار وساهمتم في تبيين الاتّجاهات الراعوية الملائمة. أودّ أن أركّز هنا على بعض هذه النواحي. إنّ الحوار يدخل ضمن رسالة الكنيسة الخلاصيّة ؛ فهو لذلك حوار للخلاص. « إنّ تلاميذ المسيح ، بإتّحادهم العميق مع الناس في كلّ ظروف حياتهم ونشاطهم ، يرغبون في أن يقدّموا لهم شهادة المسيح الحقّة ، بهدف خلاصهم ، حتى حيث لا يستطيعون التبشير الكامل بالمسيح » (Ad Gentes, 12).

على أنّه ، داخل هذا النشاط الكنسي ، لا بدّ من تجنّب المواقف المتزمّتة التي ترفض الأمر الوسط. إنّ الحوار الأصيل يتحوّل الى شهادة ، والتبشير الحقيقي يتحقّق في جوّ من الاحترام والإصغاء للآخر (Redemptor hominis, 12) وإن كان « لكلّ عمل زمنه ولكلّ زمان عمله » (Qôheleth « L'Ecclésiaste », 3, 1-8) فإنّ الحكمة والفطنة سوف يبيّنان ما هو مناسب لكلّ وضع خاص ، أهو التعاون أو الشهادة أو الإصغاء أو تبادل القيم. لقد كان القديسون من أمثال فرنسيس الأسيزي ، وكان كبار الدعاة مثل مَتّيو ريتشي وشارل دى فوكو ، نماذج لنا. إذا كنا نعيش دائما في المسيح سنصبح أدوات تزداد أهليّتها يوما بعد يوم للعمل مع المسيح وللسير على منهجه ، وهذا ما هو إلاّ تعبير عن محبّته التي دفعته الى بذل ذاته لأجلنا.

لا نستطيع في هذه السنة اليوبيليّة أن ننسى دور الحوار في المصالحة بين الشعوب والتصالح مع الله : إنّه شرط أساسي للتعايش السلمي وللوحدة التي أرادها الله (Lumen Gentium, 9, 13, 42; Gaudium et Spes, 24, 29) أحياها المسيح (Gaudium et Spes, 78).

225

٦ ـ إنّ التحدّيات كثيرة وأفق الواجبات بالغ السعة. لنتّجه إذن إلى المسيح ، ولنتعلّم منه كيف يجب أن نتصرّف مع الآخرين. وهكذا

سنعيش فيه محبّة الآب الرحيمة ، وهو الذي يدعو بالروح جميع الناس إلى أن يتصالحوا في المسيح ويصالحوا بعضهم بعضا.

مع هذه التأمّلات وهذه التمنّيات أعطي لجميعكم ولكلّ واحد منكم بركة رسوليّة خاصة لحثّكم على العمل وتشجيعكم على مواصلة جهودكم الجديرة بكلّ تقدير.

موقف الكنيسة تجاه أصحاب الديانات الأخرى
(تأمّلات وتوجيهات حول الحوار والدعوة)

المقدّمة

مرحلة جديدة

١ ـ إنّ المجمع الفاتيكاني الثاني قد سجّل بداية مرحلة جديدة في حقل علاقات الكنيسة بأصحاب الديانات الأخرى. لقد تعرض كثير من وثائق المجمع صراحة لهذه العلاقات وتفرّغت لها واحدة منها كلية ، وهي الإعلان « Nostra Aetate » الذي تخصّص لموضوع « علاقة الكنيسة الكاثوليكيّة بالديانات غير المسيحيّة ».

في عالم متغيّر

٢ ـ فقد كان للتحوّلات السريعة التي طرأت على العالم وللدراسات المتعمّقة التي أجريت حول سرّ الكنيسة ـ وهي « العلامة العالميّة لسرّ الخلاص » (LG 48) ـ أثرها الملموس في إبراز هذا الموقف إزاء الديانات غير المسيحيّة ، كما « كان للإنفتاح الذي تمّ في المجمع أثره في جعل الكنيسة تزداد وعيا بسرّ المسيح » (R. H. 11).

المثل الأعلى للحوار

٣ ـ إتّخذ هذا الموقفُ الجديد اسمَ الحوار. وهذه اللفظة ، باعتبارها قاعدة ومبدأ في الكنيسة ، إكتسبت قيمتها التعبيريّة على يد البابا بولس السادس في رسالته الجامعة « Ecclesiam Suam » الصادرة في ٦ أغسطس ١٩٦٤. منذ ذلك الحين راجت اللفظة وكثر تداولها سواء في المجمع أو في إطار الأسلوب الكنسي عامة. على أنّها لا تدلّ فقط على أسلوب في التعبير بل تشمل كذلك سائر العلاقات الإيجابيّة البنّاءة بين الأديان ، التي ينبغي أن تعقد بين الناس الذين ينتمون إلى ديانات أخرى ، أفرادا وجماعات ، بهدف التعارف المتبادل والإستفادة المعنويّة المشتركة.

أمانة السرّ الفاتيكانيّة

٤ ـ أنشأ البابا بولس السادس في جوّ المجمع الفاتيكاني الثاني هيئة أمانة السرّ لشؤون غير المسيحيّين ، يوم عيد العنصرة لعام ١٩٦٤ ، وأرادها مستقلّة عن الجمعيّة المقدّسة لتبشير الشعوب ، ليعرب بشكل تنظيمي عن رغبة الكنيسة في التحدّث الى أصحاب مختلف التقاليد الدينيّة في العالم والإلتقاء بهم. وأمّا مهام هذه الهيئة ، فقد بيّنها الدستور الكنسي « Regimini Ecclesiae » على الوجه التالي : « البحث عن الأساليب والوسائل التي تؤدّي الى فتح حوار مع غير المسيحيين ، العمل الجاد للتعرّف بدقّة على الديانات غير المسيحيّة وتقديرها حقّ قدرها وليتمكّن غير المسيحيين من التعرّف اللائق على العقائد والحياة المسيحيّة وتقديرها كما ينبغي.

خبرة عشرين سنة

٥ ـ بعد مرور عشرين سنة على نشر الرسالة « Ecclesiam Suam » وعلى تأسيس الأمانة العامة ، إلتقى أعضاؤها في جمعيّتهم العموميّة وعملوا على تقييم الخبرة المكتسبة في مجال الحوار على نطاق الكنيسة ، ثمّ أجالوا التفكير في مواقف الكنيسة تجاه أصحاب الديانات الأخرى وخاصة حول العلاقة التي تربط بين الحوار والدعوة.

تقديم الوثيقة

٦ ـ إنّ النظرة اللاهوتيّة التي تشرف على هذه الوثيقة تستلهم ما دار في المجمع الفاتيكاني الثاني وما تبعه من تعاليم صدرت عن رؤساء الكنيسة فيما تلا ، على أنّ باب البحث ما زال مفتوحا أمام علماء اللاهوت ، وهو أمر مرغوب فيه ، بل ضروري. وهذا التأمّل الذي مهّدت له الخبرة بعد أن أثمرته بنتائجها ، قد اتّخذ طابع الرؤية الراعوية في أغلبه ، فهو يهدف إلى تعزيز السلوك الإنجيلي تجاه المؤمنين الآخرين الذين يعايشون المسيحيين في المجتمع والعمل والأسرة.

للجماعات المسيحيّة

٧ ـ والوثيقة ترمي الى مساعدة الجماعات المسيحيّة ، وخاصة المسؤولين فيها ، على العيش حسب توجيهات المجمع ، بما تقدّمه لهم من عناصر

تعينهم على تذليل العقبات التي تنشأ في أمكنة تواجدهم ، للتوفيق بين واجبات التبشير ومتطلّبات الحوار. كما أنّ هذه الوثيقة توفّر لأصحاب الديانات الأخرى تفهّما أعمق للنظرة التي تراهم بها الكنيسة ولطريقة تعاملها معهم.

في روح مسكونيّة

٨ ـ لقد كوّنت كنائس مسيحيّة كثيرة خبرة مماثلة فيما يتعلّق بأصحاب الديانات الأخرى ، وهاهوذا مجلس الكنائس العالمي قد أنشأ هيئة لإجراء « الحوار مع الشعوب ذوات العقائد الحيّة والأيديولوجيّات » ، ضمن قسم « التبشير والدعوة إلى الإنجيل ». وقد أقامت معها هيئة الأمانة العامة لشؤون غير المسيحيين علاقات أخويّة ثابتة للتشاور والتعاون.

أولا : الدعوة

المحبّة هي الينبوع

٩ ـ الله محبّة (1 Gv 4,8.16). لقد أوحى الله بمحبّته الخلاصيّة للبشر بواسطة المسيح ، والله لا يزال حاضرا في العالم ، لا يكفّ عن العمل من خلال الروح القدس. وعلى الكنيسة أن تكون العلامة الحيّة لهذه المحبّة لتجعلها قاعدة حياة للجميع. لقد أرادها المسيح رسالة محبّة لأنّ فيها يوجد المصدر والغاية ووسائل الممارسة (راجع AG 2-5,12; EN 26) لذلك فكلّ مظهر للكنيسة وكلّ نشاط من أنشطتها يجب أن يكون مشبعا بالمحبّة ، إخلاصا للسيّد المسيح الذي أمرها بالدعوة وما زال يحييها ويؤمّن لها الإستمراريّة عبر التاريخ.

بواسطة الكنيسة

١٠ ـ الكنيسة هي شعب الله المسيانيّ ، كما أكّد على ذلك المجمع الفاتيكاني ، وهي في آن واحد الجماعة المنظورة والمجتمع الروحاني والشعب السائر الى الله مع البشريّة كلّها ، يقاسمها الخبرة. هذا يفرض عليها أن تكون بمثابة الخميرة ، بل الروح التي تجدّد البشريّة في المسيح وتجعل

منها أسرة لله (راجع : LG 9; GS 9, 40). « ودستور هذا الشعب المسيانيّ إنّما هو الوصيّة الجديدة ، وصيّة المحبّة ، وهي أن يحبّ كما أنّ المسيح ذاته أحبّنا ، وغايته ملكوت الله الذي سبق أن أنشأه على الأرض » (LG 9). « إنّ الكنيسة السائرة نحو الله هي كنيسة داعية » (AG 2 وراجع : 6, 35, 36) والدعوة هي التعبير الطبيعي للإيمان الذي يحياه كلّ مسيحي.

للدعوة

١١ ـ « لذلك فإنّ رسالة الكنيسة تُفهم على حقيقتها من خلال مثل هذا العمل الذي تقوم به تنفيذاً لأمر المسيح بفضل النعمة ومحبّة الروح القدس ، مؤكّدةً حضورها الكامل والراهن بين جميع الأفراد والشعوب ... » (AG 5). هذا الواجب واحد إلاّ أنّه يتحقّق بطرق شتّى ، حسب الظروف التي تتمّ فيها الدعوة. « هذه الظروف تتعلّق سواء بالكنيسة أو بالشعوب أو الجماعات أو الأفراد الذين توجّه اليهم الدعوة ... لكلّ ظرف أو حالة لا بدّ من أعمال ووسائل تناسبها ... غاية هذا النشاط الإرسالي التبشير بالإنجيل وزرع الكنيسة وسط هذه الشعوب وتلك الجماعات التي لم تمتدّ إليها جذورها بعد » (AG 6). وهناك نصوص أخرى من المجمع ذاته توؤكّد أنّ رسالة الكنيسة تتمثّل أيضا في نشر الملكوت وقيمه بين جميع الناس (راجع : LG 5,9; 35, GS 39, 40-45, 91, 92; UR 2; DH 14; AA 5).

مع تعميقها المتواصل

١٢ ـ حدّد المجمع الفاتيكاني الثاني بشكل عام ملامح الدعوة وطرقها. وقد وسّعت أعمال السلطة الكنسيّة المتعاقبة ووثائقها جوانب من التعليم المجمعي ، كما فعل مجمع الأساقفة بالنسبة لموضوع العدالة الاجتماعيّة (١٩٧١) والتبشير (١٩٧٤) والتعليم الديني (١٩٧٧) ، عدا البيانات التي أصدرها بولس السادس ويوحنا بولس الثاني ومجامع أساقفة آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينيّة. لقد أضافوا ، على سبيل المثال ، أنّ إلتزام الكنيسة بخدمة الإنسان وتحقيق العدالة الاجتماعيّة والحريّة وحقوق الإنسان وإصلاح النظم السياسيّة غير العادلة ، تعدّ « عناصر أساسيّة من رسالة الكنيسة لا يمكن فصلها عنها بحال من الأحوال » (RH 15).

متحقّقة في نشاطات عديدة

١٣ ـ الدعوة تبدو أمام ضمير الكنيسة على أنّها حقيقة موحّدة وإن كانت مركّبة ومتكاملة ؛ يمكن الإشارة الى عناصرها الرئيسيّة كما يلي : الدعوة تقوم بمجرّد الوجود المسيحي والشهادة الحيـة التي تتمثّل في الحياة المسيحيّة (راجع : EN 21) ، وإن وجب علينا الاعتراف بأنّنا نحمل « هذا الكنز في أوان من خزف » (2 Cor. 4,7). لذلك ، فإنّ الشقّة بين المسيحي كما يظهر في واقعه وكما ينبغي عليه أن يكون تبقى دائما قائمة. ثمّ هناك الالتزام الواقعي بخدمة الإنسان وكلّ الجهود التي تستهدف النهوض بالمجتمع ومحاربة الفقر والنظم الاجتماعيّة التي تؤدّي إليه. وهناك حياة طقوس العبادة والصلاة والتأمّل الروحاني ، وكلّها تشهد بفصاحة على العلاقة الحيّة والمحرّرة بالله الحي والحقّ الذي يدعونا الى ملكوته ومجده (راجع : AT, 2,42).وهناك الحوار الذي يلتقي فيه المسيحيّون بأتباع الديانـات الأخرى ليسيروا نحو الحقيقة ، وليتعاونوا في الأعمال ذات الأهميّة المشتركة. وهناك التبشير والتعليم الديني حيث تعلن بشرى الإنجيل الحسنة وتتعمّق نتائجها في الحياة والثقافة. كلّ هذا يدخل في نطاق الدعوة.

واجـب للجميـع

١٤ ـ كلّ كنيسة خاصة مسؤولة عن الدعوة بكاملها ، وكلّ مسيحي مدعوّ من واقع ايمانه وعماده إلى ممارستها كلّها بشكل أو بآخر. إلاّ أنّ متطلّبات الظروف ومنزلة الفرد المسيحي داخل شعب الله ، ومواهب الروح القدس الشخصيّة قد تؤهّل المسيحي لممارسة إحدى هذه النواحي أو غيرها بشكل أفضل.

على مثـال المسيـح

١٥ ـ لقد شملت حياة يسوع كلّ عناصر الدعوة. فهي حسب الأناجيل ، تَمَّتْ مع الصمت والسكوت ، مع العمل والصلاة ، ومع الحوار والتبشير. إنّ رسالته لا تنفصل عن العمل ، وهولم يبشّر بالله وملكوته بالكلام فقط ولكن أيضا بالأحداث والأعمال التي أنجزها. وقد تقبّل المعارضة والفشل والموت وتمّ إنتصاره نتيجة لتضحيته بحياته. كلّ شيء منه كان وسيلة وطريقا للوحي والخلاص (راجع : EN 6-12) ، كلّ شيء كان تعبيرا عن محبّته (راجع : Gv. 3,16; 13,1; 1 Gv. 4, 7-19). هكذا إذن يجب أن يفعل

المسيحيّون « هكذا سيعرف الجميع أنكم تلاميذي إذا أحببتـم بعضكـم بعضا » (Gv. 13, 35).

كما فعلت الكنيسة الأولى

١٦ ـ والعهد الجديد ذاته يعطي عن الدعوة صورة مركّبة ومتنوّعة. هناك أنواع من الخدمات والوظائف المتفرّعة من تنوّع مواهب الروح (راجع : 1 Cor. 12, 28-30; Ef. 4,11-12; Rom. 12,6-8). إنّ القديس بولس ذاته قد أشار إلى ما كان يميّز دعوته التبشيريـة عن غيرها من الدعوات عندما أعلن أنّه « لم يرسل من المسيح ليعمّد ولكن ليبشّر بالإنجيل » (1 Cor. 1,17). لذلك ، فإلى جانب الرسل والأنبياء وكتاب الأناجيل « نجد الذين دعوا الى الأعمال الاجتماعيّة وإلى مساعدة المعانين ، كما أنّ هناك واجبات الأسرة والأزواج والزوجات والأولاد ، وواجبات السـادة والعبيد. على كلّ فرد واجب من واجبات الشهادة خاص به في المجتمع. إنّ الرسالة الأولى للقديس بطرس تقدّم للمسيحيين الذين كانوا يعيشون في الشتات إرشادات لا تزال تثير الدهشة بواقعيّتها ، وقد أشار الى جانب منها البابا يوحنا بولس الثاني ، ووصفها « بالقاعدة الذهبيّة التي تنظّم علاقات المسيحيين بمواطنيهم المنتمين إلى عقائد أخرى : اسجدوا للسيّد المسيح في قلوبكم وكونوا دائما على استعداد لأن تعلّلوا الأمل الذي تحملونه ولكن في دماثة خلق واحترام وضمير صالح » (1 Pt. 3, 15-16) (أنقره ١٩٧٩/١١/٢٩).

وكبـار المبشّريـن

١٧ ـ إنّ قانون الرهبنة غير المهور الذي وضعه القديس فرنسيس الأسيزي (١٢٢١) ليبدو ذو مغزى من بين الأمثلة العديدة التي شهدها تاريخ الدعوة المسيحيّة. يقول فيه واضعه في باب الكلام عن الإخوة ، « الذين يريدون الذهاب بين المسلمين ... : يستطيعون تدبير العلاقات الروحيّة بينهم حسب موقفين. الموقف الأول أن يتجنّبوا المشاحنات والمناقشات ولكن أن يكونوا خاضعين لكلّ مخلوق انساني حبّا لله ويشهدون بأنّهم مسيحيّون. والموقف الثاني أن يعلنوا كلمة الله عندما يتبيّنون أنّ ذلك يرضي الربّ ». هذا ، وقد شهد عصرنا تجربة « شارل دى فوكو » التي نشأت وثبتت خاصة وسط العالم الاسلامي. إنّه مارس الدعوة في موقف من الإتّحاد مع الله في تواضع وصمت ومشاركة للفقراء وأخوّة عالميّة.

في احترام للحريّـة

١٨ ـ الدعوة تتّجه دائما إلى الإنسان مع مراعاة الاحترام التام لحريّته. لذلك ، بينما أكّد المجمع الفاتيكاني الثاني على ضرورة التبشير الملحّة بالمسيح « نور الحياة ، بكلّ ثقة وعزم رسولي ولو دعا ذلك الى بذل الدم » (DH 14) ، راح يذكّر بوجوب الحرص على الحريّة الحقة واحترامها لدى كلّ مستمع وصونها من أيّ ضغط ، لا سيما في المجال الديني. « في الواقع ، يجب أن يتمّ البحث عن الحقيقة بالطريقة التي تتمشّى مع كرامة الشخص الإنساني ومع طبيعته الاجتماعيّة ، أي مع حريّة البحث ، بالاستعانة بالتعليم أو بهيئة متخصّصة ، أو بوسائل الإعلام والحوار ، حيث يشرح البعض للبعض الآخر الحقيقة التي عثروا عليها أو يعتقدون أنّهم وجدوها ، ذلك ليتعاونوا على البحث عن الحق. وعند التوصّل الى معرفة هذه الحقيقة ، عليهم أن يعتنقوها بثبات وبالتزام شخصي » (DH 3). لذلك « عند نشر الإيمان الديني ومحاولة إدخال تقاليده في مناطق جديدة ، يتحتّم دائما الامتناع عن أيّ عمل من شأنه أن يمثّل ضغطا أو إقناعا غير لائق أو غير خالص الاستقامة ، خاصة عندما يتعلّق الأمر بأشخاص بسطاء أو فقراء ؛ مثل هذه الوسائل يجب أن تعتبر استغلالا من جانب الداعي وإعتداء على حقّ الآخرين.

... وللشخصيّـة

١٩ ـ انّ الاحترام لشخصيّة الغير يجب أن يميّز نشاط الدعوة في عالم اليوم (راجع : ES 77; AAS 1964, pp. 642-643; EN 79-80; RH 12 « الإنسان هو الطريق الأول الذي يتعيّن على الكنيسة أن تسلكه وهي تقوم بواجب الدعوة » (RH 14). وهذه القيم التي ما زالت الكنيسة تتعلّمها من المسيح معلّمها ، يجب أن تحمل المسيحي على حبّ واحترام كلّ ما هو حسن في ثقافة الغير وإقتناعه الديني. فالأمر هو بالنسبة الى الجميع « الاحترام لكلّ ما هو من عمل الروح الذي يهبّ حيث شاء » (RH 12 وراجع EN 79).

إنّ الرسالة المسيحيّة لا يمكن أن تبتعد عن المحبّة والاحترام للآخرين : هذا بالنسبة لنا نحن المسيحيين يبرز مكانة الحوار في التبشير.

ثـانيـا : الحـوار

ا) أسسـه

٢٠ ـ الحوار لا ينطلق من رغبة إنتهازيّة أو تكتيكيّة عابرة بل يعتمد على أدلّة عقليّة تعمّقها الخبرة والتأمّل بل والصعاب ذاتها.

يقوم على المتطلّبات الشخصيّة والاجتماعيّة

٢١ ـ إنّ الكنيسة تفتح قلبها للحوار إخلاصاً للإنسان. في كلّ إنسان وكلّ مجتمع إنساني تكمن الرغبة بل الحاجة الى أن يكون موضع تقدير من قبل الغير وأن يعامل كمسؤول سواء عندما تعرض الحاجة إلى قبول شيء ، أو ، بصفة خاصة ، عندما يدرك أنّه يمتلك شيئا يتعيّن عليه أن يشرك غيره فيه. وتؤكّد العلوم الإنسانيّة أيضا أنّ الإنسان ليستشعر حدوده الشخصيّة عندما يمارس الحوار كما يستشعر في آن واحد إمكانيّة التغلّب عليها. فهو يكتشف أنّه لا يملك الحقيقة بصورة مثاليّة وكاملة لكنّه يستطيع أن يسير نحوها في ثقة إذا ما استعان بغيره إذ إنّ المراجعة المتبادلة والتصحيح المشترك والمناقشة الأخويّة لمواهب كلّ فرد ، كلّه يقود الى النضج المتزايد الذي يولد التفاهم الودّي والمتبادل بين الأشخاص. في مثل هذه المواجهة يمكن للخبرات والنظرات الدينيّة أن تتطهّر وتزداد ثراء.

إنّ فاعليّة العلاقات الإنسانيّة هذه تدفعنا نحن المسيحيين الى أن نستمع الى ما يستطيع المؤمنون الآخرون أن يبلّغونا إيّاه ونتفهّمه لكي نستفيد من المواهب التي نفحهم الله بها.

إنّ التغييرات الاجتماعيّة والثقافيّة وما تسبّبه من توتّرات ومتاعب وما يصاحبها من تبعيّات متبادلة ومتزايدة في مختلف قطاعات التعايش والتقدّم الإنساني وخاصة فيما يتعلّق بمطالب السلام ، كلّ ذلك يجعل من الالتزام بأسلوب الحوار في العلاقات أمرا ملحّا اليوم أكثر منه بالأمس.

متأصّل في الايمان بالله الآب

٢٢ ـ على كلّ ، فإنّ الكنيسة تشعر بأنّها ملزمة بالحوار على أساس من إيمانها قبل كلّ شيء. فهي تستشفّ من سرّ الثالوث الأقدس أنّ هناك حياة من التوحّد ومن التبادل.

ففي الله الآب ، نتأمّل حبّا تلقائيّا لا تحدّه حدود في المكان أو الزمان. العالم والتاريخ يفيضان من جوده ، وكلّ شيء وكلّ حادثة لهي محاطة بحبّه ، ورغم ظهور طغيان الشرّ أحيانا في حياة كلّ إنسان وكلّ شعب ، هناك قوّة النعمة ، ترفع وتخلّص.

على الكنيسة أن تكشف للأنظار وتحمل الى النور وتعمل على إنضاج كلّ الثروة التي أودعها الآب في الخليقة وداخل التاريخ ليس فقط للإحتفال بمجد الله عن طريق الطقوس الدينيّة ، بل أيضا لتعزيز تداول نعم الله الآب بين جميع بني الإنسان.

متأصّل في الابن المتّحد بكلّ انسان

٢٣ ـ في الله الابن أعطينا « الكلمة » والحكمة التي سبقت وجود كلّ شيء والتي بها كان كلّ شيء منذ الأزل. المسيح هو الكلمة الذي يضيء السبيل لكلّ إنسان إذ إنّ فيه ظهر سرّ الله وسر الإنسان (راجع : RH 8, 10, 11, 13). إنّه هو المخلّص الحاضر بنعمته في كلّ لقاءاتنا الإنسانية ليخلّصنا من حبّ الذات ويجعلنا نحبّ بعضنا بعضا كما هو أحبّنا.

كتب يوحنا بولس الثاني يقول : « كلّ إنسان بلا إستثناء مفتدى من المسيح. ومع الإنسان ، مع كلّ إنسان ، دون إستثناء ، المسيح حاضر بطريقة ما ، حتى لو كان ذلك دون وعي منه. فالمسيح الذي مات وقام من أجل الجميع يعطي الإنسان ويعطي جميع الناس دائما النور والقوّة ليلبّوا نداء دعوته الكبرى » (RH 14).

متأصّل في الروح الفعّال

٢٤ ـ في الله الروح القدس ، يحمل الإيمان الإنسانَ على أن يدرك هذه القوّة ، مصدر حياة وحركة تجديد دائم (راجع : LG 4) التي تعمل في عمق الضمير وتصحب القلوب في سيرها الخفيّ نحو الحقيقة (راجع : GS 22). والروح الذي يعمل أيضا « أبعدَ من الحدود المنظورة لجسد المسيح السرّي (RH 6 راجع : LG 16; GS 22; AG 15) ، الروح يعدّ الطريق لمسيرة الكنيسة ويرافق خطاها. وهذا هو ما يفسّر إحساسها بواجب تمييز علامات حضوره وبضرورة إتّباعه أيما قادها ، واضعة نفسها في خدمته كمساعدة وفيّة ومتواضعة.

من أجل تحقيق الملكوت

٢٥ ـ ملكوت الله هو الهدف الأخير لجميع الناس والكنيسة ـ التي هي « نواة الملكوت وبدايته » (LG 5, 9) ـ مكلفة بأن تدخل هي أوّلا في الطريق المؤدّية الى الملكوت ، ثمّ أن تجتهد لكي تسير الإنسانيّة كلّها نحوه.

وواجبها هذا يشمل محاربة الشرّ والتغلّب عليه وعلى الخطيئة ، مبتدئة دائما بنفسها ومعانقة سرّ الصليب. وهكذا تمهّد الكنيسة للملكوت الى أن تصل الى النتيجة المتوخّاة وهي الوحدة الكاملة لكلّ الاخوة في الله.

والمسيح هو الذي يضمن للكنيسة وللعالم أنّ الأزمنة الأخيرة قد إبتدأت وأنّ العهد الأخير للتاريخ قد حُدّد (راجع : LG 48). والكنيسة لذلك مؤهّلة ـ بل ملزمة ـ لأن تعمل على أن يتحقّق الكمال التدريجي لكلّ شيء في المسيح.

متعهّدة البذور

٢٦ ـ هذه النظرة دفعت آباء المجمع الفاتيكاني الى تأكيد القول بأنّ في داخل الديانات غير المسيحيّة توجد « أشياء حقّة وحسنة » (OT 16)، « أشياء دينيّة وإنسانيّة قيّمة » (GS 92) ، « تودّي الى التأمّل الروحي » (AG 18) ، « عناصر من الحقيقة والنعمة » (AG 9) ، « بذور من الكلمة » (AG 11.15) ، « أشعّة من الحقيقة التي تنير كلّ البشر » (NA 2) . وهذه القيم ، بناء على البيانات الصريحة للمجمع ، توجد مركّزة في التقاليد الدينيّة الكبرى التي عرفتها البشريّة ، وهي لذلك تستحقّ إهتمام المسيحيين وتقديرهم ؛ وتراث هذه الديانات الروحي لهو بمثابة الدعوة الصادقة الى الحوار (راجع : NA 2.3; AG 11) ، ليس فقط فيما يتعلّق بالأمور المتقاربة بل فيما يتعلّق بالأمور المتباعدة كذلك.

في حوار صادق

٢٧ ـ إستطاع المجمع الفاتيكاني الثاني أن يستخلص هذا الالتزام الواقعي وقد عبّر عنه كما يلي : « لكي يتمكّنوا (المسيحيّون) من أداء شهادة المسيح هذه أداء مثمرا ، فليتّحدوا بأهل زمانهم ، بالتقدير والمحبّة ، معترفين بأنّهم أعضاء من هذه الجماعات البشريّة التي يعيشون في وسطها. وليأخذوا نصيبهم من الحياة الثقافيّة والاجتماعيّة من خلال العلاقات والشؤون المتنوّعة للحياة الانسانيّة ، ولتكن تقاليد هذه الجماعات الثقافيّة والدينيّة

مألوفة لديهم وليكتشفوا بفرح واحترام بذور «الكلمة» الخفيّة فيها ، وكما فعل المسيح نفسه ... هكذا يجب على تلاميذه أن يتعرّفوا الى الناس الذين يعيشون فيما بينهم ويتحاوروا معهم ليدركوا بالحوار الصبور المخلص ، ما هي الكنوز التي وزّعها الله بسخاء على الأمم وليجتهدوا في الوقت نفسه في أن ينيروا هذه الكنوز بنور الإنجيل ويُعْتقوها ويخضعوها لسلطان الله المخلّص» (راجع : AG 11, 41; AA 14.29 etc.).

ب) شكل الحوار

٢٨ ـ لقد تبيّن من خبرة السنوات الأخيرة تعدّد الأساليب التي يمكن أن يجرى فيها الحوار ، وهذه الأساليب الرئيسيّة التي نعدّدها فيما بعد ، قد تستخدم بمفردها أو مشتركة مع غيرها.

حوار الحياة

٢٩ ـ الحوار هو قبل كلّ شيء أسلوب عمل ، استعداد وروح يوجّه السلوك. إنّه يستلزم التنبّه للآخر مع حسن لقاء واعتراف بمكانة شخصيّته ، بخواصه التعبيريّة وبقيمه. مثل هذا الحوار هو القاعدة والأسلوب الذي يجب إتّباعه في كافة أنواع التبشير المسيحي وفي كلّ مراحله ، سواء إقتصر على مجردّ الحضور والشهادة ، أو تمثّل في الخدمة ، أو إتّخذ صورة الدعوة المباشرة ذاتها (CJC 787 § 1). والدعوة التي لا تتزيّا بروح الحوار هذه ، تخالف متطلّبات العلاقات الانسانيّة الحقّة وتناقض تعليمات الإنجيل.

للجميع

٣٠ ـ كلّ تلميذ للمسيح مطالب بحكم دعوته الانسانيّة والمسيحيّة بأن يعيش الحوار في إطار حياته اليوميّة ، سواء أكان في موقف يمثّل الأغلبيّة أم الأقليّة. عليه أن يبثّ روح الإنجيل أيّا كان ميدان حياته وعمله ، في بيئة الأسرة والمجتمع الواسع أو في حقل التربية أو الفنّ أو الاقتصاد أو السياسة الخ ... هكذا يحتلّ الحوار مكانه ضمن الرسالة الكنسيّة الحيّة.

حوار الأعمال

٣١ ـ المستوى الثاني من مستويات الحوار هو ذلك الذي يتعلّق بالأعمال وبالتعاون على تحقيق أهداف ذات الطابع الإنساني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي ، والتي تستهدف تحرير الإنسان وترقيته. هذا يحدث غالبا في إطار المنظّمات المحليّة والوطنيّة والدوليّة حيث يساهم المسيحيّون ، بالاشتراك مع أفراد من أصحاب الديانات الأخرى ، في مواجهة المشاكل العالميّة.

للتعاون

٣٢ ـ يتّسع مجال التعاون إتّساعا كبيرا. والمجمع الفاتيكاني الثاني ، إذ أشار الى المسلمين ، دعا الى «تناسي الماضي» وحثّ على العمل المشترك «في ميدان الدفاع عن العدالة الاجتماعيّة وتعزيز القيم الأخلاقيّة والسلام والحريّة لجميع الناس» (NA 3 وراجع : AG 11.12.15.21). وعبّر عن ذات المعنى البابا بولس السادس ، خاصة في رسالته الجامعة « Ecclesiam Suam » (AAS 56, 1964, p. 655) كما فعل يوحنا بولس الثاني في كثير من لقاءاته مع رؤساء مختلف الديانات وممثّليها. إنّ المشاكل الخطيرة التي تشغل بال الإنسانيّة لتدعو المسيحيين الى التعاون الصادق مع سائر المؤمنين ، كلّ باسم معتقده الخاص.

حوار الخبراء

٣٣ ـ هناك حوار ذو شأن خاص يقوم على مستوى الخبراء. قد يتناول موضوع تراث كلا الفريقين المتحاورين ، بغرض المقارنة والتعميق أو الإثراء ، أو بغرض إستخدام إمكانيّاته في البحث عن حلّ للمشاكل التي تعترض مسيرة الانسانيّة عبر التاريخ.

مثل هذا الحوار ينشأ طبيعيّا عندما يملك المتحاورون رؤية معيّنة في الكون ويعتنقون ديانات توحي بالعمل ، ويتيسّر في المجتمعات المتعدّدة النظريّات حيث تتعايش تقاليد وأيديولوجيّات مختلفة ، قد تتعارض في بعض الأحيان.

للتفاهم

٣٤ ـ في مثل هذه المواجهة يتعرّف المتحاورون بعضهم الى بعض ، ويتبادلون مشاعر التقدير بسبب قيمهم الروحيّة وثقافاتهم المتنوّعة ، وبذلك ينتشر التفاهم والإخاء بين الناس (راجع : NA 1) ، ويتسنّى للمسيحي في هذه الظروف أن يقوم بدوره في تطوير الثقافات ومزجها بروح الإنجيل (راجع : EN 18-20, 63).

حوار الخبرة الدينيّة

٣٥ ـ وعلى مستوى أرفع ، ففي وسع المتمكّنين من تقاليدهم الدينيّة أن يتقاسموا خبراتهم في الصلاة والتأمّل الروحي ، في الإيمان والالتزام ، وهذه الأمور كلها وسائل تعبّر عن البحث عن المطلق. يؤدّي مثل هذا الحوار إلى الإثراء المتبادل وإلى التعاون المثمر في ميدان دعم القيم الإنسانيّة وصيانة المثل الروحيّة العليا. وطبيعي أن يقود هذا النوع من الحوار إلى أن يتبادل المتحاورون المعلومات والحجج التي يقوم عليها ايمانهم دون أن يتأثّر هذا التبادل بما يبدو من مفارقات قد تكون عميقة ، لأنّهم يسلّمون أمرهم لله في تواضع وثقة ، «لأنّ الله أكبر من قلوبنا» (1 Gv. 3, 20).

وهكذا يتيح هذا الحوار للمسيحي أن يهيّىء الفرصة لمحدّثه ليختبر بنفسه القيم الإنجيليّة بشكل واقعي.

ثالثا : الحوار والدعوة

٣٦ ـ العلاقات بين الحوار والدعوة كثيرة. وسنقف هنا عند بعض الجوانب التي لها أهميّة بارزة ، نظرا الى التحديات والمشاكل المطروحة ، أو بالنسبة إلى المواقف المطلوبة.

ا) الدعوة والعودة إلى الله

النداء الى التوبة

٣٧ ـ التوبة هي غاية الدعوة التبشيريّة في نظر المجمع الفاتيكاني الثاني «هكذا يصل غير المسيحيين إلى الإيمان ، بكامل حريّتهم بعد أن

يفتح الروح القدس قلوبهم ، ويتوبون الى الرّب ، ويذعنون له باخلاص» (AG 13; CJC 787 § 2). لا مفرّ في إطار الحوار بين المؤمنين ذوي المعتقدات المختلفة من التأمّل في المسيرة الروحيّة التي تعبّر عنها التوبة.

التوبة في رؤية العهد القديم والأسلوب المسيحي هي عودة القلب المتواضع والمنسحق الى الله مع الرغبة في إخضاع النفس له بمزيد من الإخلاص (راجع : AG 13). الى مثل هذا الرجوع الى الله الجميع مدعوّون باستمرار. وفي مثل هذا التدرّج قد ينبثق القرار بالتخلّي عن موقف روحي أو ديني سابق لاتّباع وجهة أخرى ، وعلى سبيل المثل ، قد ينفتح القلب من حبّ خاص الى المحبّة الشاملة.

كلّ نداء أصيل من الله يقتضي دائما تخطّي الذات. ولا تنشأ حياة جديدة دون موت : هذا ما أثبتته فاعليّة سرّ القيامة (راجع : GS 22). «وكلّ توبة هي من عمل النعمة وبها دائما يعود الإنسان فيلتقي بذاته» (RH 12)

في الاحترام للضمائر

٣٨ ـ في أسلوب التوبة هذا ، يغلب قانون الضمير الأعلى ، إذ «إنّه يجب ألاّ يكره أحد على عمل مخالف لضميره أو يمنع عن العمل وفق ضميره ، خاصة في الحقل الديني» (DH 3).

والروح المحيي

٣٩ ـ إنّ العامل الرئيسي في هذا التحوّل ، من وجهة النظر المسيحيّة ، ليس هو الانسان بل الروح القدس. «إنّه هو الذي يدفع الى التبشير بالإنجيل وهو الذي يستميل الضمائر لقبول كلمة الخلاص ولتفهّمها» (EN 75). إنّه هو الذي يرشد حركة القلوب ويولد فيها الايمان بيسوع الرّب (راجع : 1 Cor. 2,4). فالمسيحي لا يعدو أن يكون مجرّد أداة ومساعداً لله (راجع : 1 Cor. 3,9).

مع الرغبة المتبادلة في النمو

٤٠ ـ ومن جهة أخرى ، يجد المسيحي في الحوار ما يشبع الرغبة التي تملأ قلبه في أن يشرك أخاه المتديّن بديانة أخرى في خبرته الشخصيّة مع المسيح (راجع : Atti 26, 29; ES 46). وطبيعي كذلك أن يشعر المؤمن الآخر برغبة مماثلة.